

من

تراب (٢٧٦) لا تعكز صفو فكرك ! (*)

الطريق!

يستسهل بعضنا بوعى أو بغير وعى، العصف بهدوء نفسه، أو بلبلة خواطره، أو تعكير صفو فكره بالأوهام أو المنغصات أو الترهات وما شابه .. ولو عرف الآدمى معنى وقيمة وصفاء فكره لما استخف بتكديره .. حين يتكرر صفاء الفكر ينصرف صاحبه بعيداً عن الصواب، منقاداً لفكر غير سديد احتل صفحة وجدانه بدلاً من الفكر الصافى .. وهو انحراف فى بوصلة الآدمى وفكره يتزايد بتزايد التعكير أو العكارة التى أدخلها عليه !

ظنى أنه يجب على كل منا أن يتذكر دائماً أن العقل أداة جوهرية دقيقة جداً - يفسد دقتها الهزات والانفعالات والاندفاعات، وأن يتذكر أن الآدمى يعتاد على هذه الاضطرابات وتأثيراتها إذا تكررت .. يعتاد على عدم المبالاة بارتكاب الأخطاء وعدم الاهتمام بالنقص أو القصور أو قلة الإتيان والدقة، ويصبح ذلك كله اعتياداً على الترخص ونقص فى الإحساس بالمسئولية، وعلى نقل ذلك ومحاكاته عن الآخرين من طريق التقليد الإرادى وغير الإرادى .. وقد يتوافر ذلك فى المجتمع ويكتسب تواتره قوة الإلزام ويصبح من المعتقدات والمصدقات والقيم وأصول السلوك !

واجب على كل عاقل أن يهرب بعقله وفكره - من الإنصات إلى الخطائيات والنداءات والصيحات المتشنجة، ومن إطالة النظر إلى حركات الوجوه والأيدى .. ومن أمثلة هذه الجنوحات حب المغالبة والانتصار

وإسكات الخصم المنافس والمنازل .. وواجب على كل فطن أن يعرف آفة العناد، وأن يهرب من العناد والمعاندة، فلا تقود هذه المعاندات إلا إلى الأنفعالات والاشتراك فيها .. وهو ما يعكر حتماً صفاء الفكر - ولا يفيد منه العقل لأن الانفعال خصيم العقل دائماً وأبداً !

يقولون إن الغواني يغرن الثناء، وتقول التجارب الإنسانية إن الناس بعمامة، والقادة بخاصة، يستهويهم المديح والإطراء .. فلا تلتفت لكثرة الهاتفين والمؤيدين والمتحمسين، ولا تبال بكثرة الغاضبين والساخطين والناقمين، ولا يحزنك كثرة المتشككين والمعترضين والمكذبين .. فذلك إيجاباً وسلباً انفعال من منفعلين يتبادلون قضايا انفعالية - ينبغى عليك ألا تلتفت إلى هذا الانفعال أو تشغل به نفسك إذا أردت أن تحتفظ بصفاء ذهنك وهدوء فكريك واتزان عقلك .

إن حياة الناس واعية وغير واعية في كل مجتمعاتهم قديماً وحديثاً، أغلبها انفعالات خاصة وعمامة، وما يبدونه ويتبادلونه بأى وسيلة من وسائل الأداء والتعبير - أغلبه إعراب عن انفعالات .. لكن ذلك لم يستطع أن يطرد العقل من العالم .. ولم يلغ احتياج الحق والصواب والمعرفة إلى صفاء الذهن وروية واتزان العقل وهدوء التفكير، وهذا وذاك لا يثنى العقل عن مداومة كفاحه لإعلاء كلمته في خضم الانفعالات التي لا يزل الآدميون يعيشون فيهما حتى الآن !!

لو أدرك الآدمي قيمة عقله الذي إليه كل مقاليد ما يفعله أو يأتيه أو ينتهى أو يعف عنه، لعرف أن لهذا العقل سياجا يجب أن يحميه من أى عكارة تدخل على العقل فتشوش تفكيره، وتجعل قياده إلى انفعالات تفوت استعمال ملكات العقل وتفسد وظيفته وتعكر صفاء رؤيته، وتؤدي بصاحبه إلى نقيض كل ما يحترمه العقل ويوجه بوصلة البصير المتفطن إليه !